خيارات القيمة والمعنى في الحياة

جعفر الجمري
jaffar.aljamri@alwasatnews.com

□ أتوسَّم الخير دائماً في الذين فطروا وجُبلوا على الخير. نفوسهم نقيَّة، وأرواحهم كالبَرَد. أتوسَّم الخير، من دون كوارث أو نوازل، على رغم أنك تكشف معادن الرجال في النوازل. في الشدَّة والرخاء. أتوسَّم الخير في عقلاء هذا الوطن، لا مجانينه، والذين ينبت لحمهم من حرام ومشبوه المواقف. أتوسَّم الخير في الذين لم تزدهم الشدائد إلا قوَّة وصلابة، أما الذين جُبلوا على الدعَة والاسترخاء، فأولئك لا يحتاجون إلى أن يكونوا عرضة لامتحان الشدائد.

كل مستغلٍّ لنازلة أو كارثة، هو في الصميم من النأي عن كونه بشراً. هو في الصميم من تطفله على الجنس البشري. وكل مستغلٍّ لآلام وعذاب وكوارث الذين من حوله، من دون أن يطرف له جفن، هو الخطر الداهم الماحق والعار على الجنس البشري نفسه. هو الفراغ بانعدام الذمَّة، والإدمان على اللعب والقفز على أكثر من حبْل، كبهلوانات السيرك، يؤدُّون وصْلاتهم ليقبضوا «المعلوم» بعد العرْض! أولئك خارج المعنى وأدنى من التقييم والالتفات إليهم، تماماً كالجيَف التي تدعوك إلى أن تسدَّ أنفك كي لا يطولك شيء من روائح تفسُّخها وعدمها.

تتوسَّم الخير دائماً في وجوه الأحرار لا العبيد، وفي الحدائق لا الحرائق، وفي الإقلاع لا الهبوط، وفي جهات الله لا جهات المنافع. تتوسَّم الخير دائماً في ثقتك بأن الأرض لا تخلو من المبْهر من الموقف والقيمة، تماماً في استحالة خلوِّها من المعـْتم واللاقيمة. وهذا العالم، مثلما فيه اللحَّادون، فيه القابلات اللاتي يستقبلن زينة الحياة الدنيا، وفيه المتفاخر بذله، مثلما فيه المهووس بكرامته وعزَّته حدَّ الدهشة، وما بعد المعقول، وما بعد الممكن!

الذين يسعون إلى الخير من دون انتظار جزاء، مثلهم مثل نفح الورد وطيبة الأرواح وبساطتها. والذين يسعون إلى تحويل هذا العَالم إلى «بروفة» لجهنم، مثلهم مثل غاز الأعصاب، وغاز الخردل، والجمرة الخبيثة، وأسلحة الدمار الشامل، والحروب بشتى خيارات خسفها. هؤلاء لا يدلون على الحياة؛ بل هم تهديد لها.

لا شيء، ولا أحد يسيء إلى هذا الكوكب وكائناته وسيدها البشر؛ إلا بعض المحسوبين على البشر، وما هم ببشر. ولا تهديد لهذا الكون والعالم؛ إلا بعض المحسوبين (شكلاً)على أكرم الكائنات؛ فيما هم أنأى عن ذلك الكائن بقيمته العظمى، نأي المشرق عن المغرب.

ثم إن الذين يسعون إلى تشويه معنى الحياة وقيمتها، ودفعها أو تحويلها إلى مهزلة (تخيلوا حياة أحدكم من بدئها إلى نهايتها يراد لها أن تكون مهزلة)، فيما خالقها أراد لها أن تكون قيمة ومعنى ومجازاً إلى القيمة والمعنى الأكبر، إنما يتجرَّأون على الله، قبل أن يتجرأوا على الحياة، وقبل أن يتجرأوا على الذين لهم من تلك القيمة والمعنى نصيب.

وخيارات الإنسان في الطريقة التي يحيا بها مفتوحة، ذلك صحيح؛ لكن على ألا تمسَّ تلك الخيارات في حظوظها الدنيا من القيمة والمعنى، خيارات الآخرين في الذروة من القيمة والمعنى أيضاً.

تركن إلى تأملك وتساؤلك أحياناً. لا تهدف من وراء كل ذلك إلا استعادة الرُّوح التي كانت تظلل البشر جميعهم في المكان الواحد والوطن المشترك. تحاول أن تستوعب هذه الهستيريا، وهذا الذهاب العبثيِّ باتجاه نسف كل قيمة وفضيلة في العلاقات وكل جامع مشترك، من قبل من كنت تتوهَّم أنهم في المصير معك مشتركون، وفي الأحلام والخيبات؛ لأنهم - بحسب فرضياتك والخلق - لهم أعصاب كأعصابك، وقيمة كقيمتك، وحسٌّ كحسِّك، وأحلام كأحلامك، وانكسارات كانكساراتك؛ لكنك لن تلبث أن تكتشف أن الحياة تقوم أحياناً على كل ذلك وبعضه، ويحقُّ لك أن تحلم وتتطلع وترجو وتأمل؛ لكنك في نهاية المطاف لست مسيِّراً لكل ذلك، ولا تدَّعي أنك تملك كل وصفات الوصول السحرية!

قيل لبعضهم: أما يكسوك محمد بن يحيى؟ فقال: والله لو كان له بيت مملوء إبراً، وجاء يعقوب ومعه الأنبياء شفعاء، والملائكة ضمناً يستعير منه إبرة ليخيط بها قميص يوسف الذي قُدَّ من دُبُر، ما أعاره إياها، فكيف يكسوني؟!

وقد نظم ذلك من قال:

لو أنَّ دارك أنبتتْ لك واحتشَتْ
إبراً يضيق بها فناء المنزل
وأتاك يوسفُ يستعيرك إبرةً
ليخيط قُدَّ قميصه لم تفعلِ

ضرورة ضمان مجانية وأمن وجودة تعليم الأطفال في البلدان المضطربة

شاهدة أظفر
المديرة الإقليمية لليونسيف في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا

□ فيما يعود ملايين الأطفال حول العالم إلى مدارسهم هذا الشهر، تحث «اليونسيف» السلطات في البلدان المتأثرة بالأحداث في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، على ضمان حصول جميع الأطفال على تعليم مجاني وآمن وجيد النوعية.

التعليم حق لكل طفل وطفلة وكل يافع ويافعة، وواجب مفروض على كل حكومة. ولكن على رغم التقدم الكبير الذي تحقق في السنوات الأخيرة في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، لايزال 4.7 ملايين طفل في سن الابتدائي و4.3 ملايين يافع في سن الثانوي غائبين عن المدارس. وتهدد الاضطرابات الجارية حالياً، سواء في ليبيا أو سورية أو اليمن، بحرمان المزيد منهم من أحد أهم حقوقهم الأساسية.

في ليبيا، أعادت المدارس الابتدائية فتح أبوابها في 17 سبتمبر/ أيلول في بعض أنحاء البلاد، ويفترض أن تفتح المدارس الثانوية خلال الأسبوعين المقبلين. وتقوم اليونسيف بالتنسيق بشكل وثيق مع وزارة التربية والتعليم لضمان فتح المدارس في المناطق الخالية من النزاعات. ويُعتبر هذا تحدياً مهماً، إذ إن العديد من غرف الصف قد تضررت، كما دُمرت 21 مدرسة ولايزال النازحون والقوات المسلحة يشغلون عدداً آخر من المدارس. إضافة إلى ذلك، فإن الألغام والذخائر والأجسام غير المنفجرة مازالت تشكل خطراً حقيقياً على حياة الأطفال، إلى جانب الأسلحة التي تنتشر بشكل ملحوظ حتى بين المراهقين أحياناً. وتعمل اليونسيف مع شركائها على إزالة المواد المتفجرة من المدارس.

وفي سورية، تحث اليونسيف الحكومة على ضمان أن يجري العام الدراسي الجديد، الذي انطلق يوم 18 سبتمبر، في بيئة آمنة توفر الحماية للأطفال. ودعمت اليونسيف خلال الصيف أنشطة ناجحة في درعا كالأندية المدرسية والصفوف التعويضية التي يجب أن تستمر خلال العام الدراسي الجاري.

أما في اليمن، فقد تسبب العنف والاضطرابات في إغلاق المدارس لشهرين كاملين خلال العام الدراسي الماضي. وتشير التقارير إلى أن بعض المدارس تعرضت للقصف أو استخدمت كمواقع عسكرية. وفي عدن ولحج تُستخدم أكثر من 80 مدرسة لإيواء النازحين. وفتحت المدارس أبوابها بشكل رسمي في 17 سبتمبر، ولكن تشير التقارير إلى أن العديد من المدارس لم تستطع البدء بالعمل بعد، منها 44 مدرسة محتلة من قبل المجموعات المسلحة في العاصمة صنعاء.

تذكر اليونيسيف البلدان المتأثرة بالاضطرابات بقرار مجلس الأمن رقم 1998 الذي يعتبر المدارس والمستشفيات ملاذاً آمناً، ويدعو إلى مساءلة جميع الأطراف التي تهاجم هذه المرافق.

إن الذهاب إلى المدرسة يُمَكّن الأطفال واليافعين واليافعات، وخصوصاً في أوقات النزاعات أو الاضطرابات، من الإحساس بنوع من الروتين، ويعلمهم مهارات حياتية مهمة، كما يسمح لهم بتلقي خدمات أساسية كالصحة والنظافة والتغذية والدعم النفسي.

التعليم هو من أبرز قوى التغيير الاجتماعي، وهو مفتاح لتعزيز مبادئ حل النزاعات والتسامح والمساواة، وهي مبادئ ملحة الآن أكثر من أي وقت مضى.

الصدقة ليست حكراً على الأغنياء

مريم أبو احريس
كاتبة بحرينية

□ هرباً من صخب الحياة وضجيجها وبعيداً عن السياسة اخترت ان أحدثكم اليوم عن جارتي الرائعة، «أم خليل» المرأة الآسيوية التي اختار لها قدرها ان تعيش وسط أزقة المنامة، وان ترتبط برجل من رجالاتها بعد فقدانه البصر رعاية له وطمعاً في الأجر. كانت تلك بداية انخراطها في المجتمع، لم تكن هذه المرأة على شاكلة الكثير من الأجنبيات اللاتي يتزوجن بخليجيين طمعاً في الثروة لكنها تزوجت من هذا الرجل كبير السن وفاقد البصر وقليل الحيلة والمال بعد طلب أخيه منها رعايته.

حياة هذه المرأة بسيطة وتكاد تكون معدمة، تعيش هي وعائلتها على الفتات الذي تقدمه لها بعض العائلات الصديقة، لكنها في الوقت ذاته امرأة تملك من عزة النفس ما يمنعها من قبول صدقات الآخرين إلا بما يضمن استمرار حياتها، باختصار يمر يومها في رعاية زوجها ثم تتوجه لرعاية الآخرين، تنتقل من بيت إلى آخر تساعد كبار السن في الحي في تأدية أعمال المنزل الثقيلة، أو شراء الحاجيات نيابة عن المتقدمات في السن، وعندما ينتصف الليل تجلس في إحدى زوايا المنزل تخرج قائمة المرضى والموجوعين وتصلي من أجلهم.

لقد أثارت هذه المرأة على الدوام إعجابي، لصبرها وتحملها ورضاها بكل ما قدره الله لها، وما رزقه إياها، منذ أيام قالت: «التقيت إحدى النساء الفقيرات فأعطيتها نصف ما أملك من مال ومضيت فما وصلت المنزل حتى ارسل الله لي من أعطاني ضعاف ما أعطيتها، هكذا هو الله نعطي لعباده بيد ويعطينا بأياد» لو أننا جميعنا تبنينا نظرتها هذه للحياة لما اشتكى فينا احد من فقر أو مشقة، لو امتلكنا شجاعة اقتسام ما يجود به الله علينا مع الآخرين لما بقي فينا محتاج يشتكي العوز والفاقة، لو فكرنا قليلاً في كيف سيعيش الآخر حين يكون محروماً، ولو امتلكنا قليلاً من الإنسانية كي نتخيل انفسنا مكانه لما استطعنا ابتلاع لقمة هانئة وأخونا أو جارنا أو صديقنا أو أي احد تطرق حاجته أبوابنا فنصم آذاننا عنها وندعي أن الدنيا بخير.

تذكرني حياتها دائماً بأسطورة صينية قديمة تذكر أن أماً فقدت ابنها وصعب عليها تقبل الأمر فذهبت للحكيم فسألته أن يرجعه بأي ثمن فطلب منها أن تأتي له بحبة خردل من بيت لم يعرف الحزن أبداً وتراءى لها أن ما طلبه الحكيم أسهل ما يمكن أن يطلب وهمت بالبحث عن حبة الخردل في بيوت القرية وفي كل بيت كانت هناك حكاية ودمعة ومع كل زيارة كانت المرأة تخرج حاملة مسئولية أهل البيت والاعتناء بهم ومع الأيام نسيت انها كانت تبحث عن حبة خردل فالذوبان في مشاكل ومشاعر الناس أخرج تلك المرأة من مرارة فقدان ابنها، وهكذا فعلت جارتي انصهرت بهموم الناس ومشكلاتهم حتى باتت لا تجد غير كلمات الشكر والثناء على ما تعيشه وما يكتبه الله لها.

في اليوم الوطني للمملكة العربية السعودية

عبد المحسن بن فهد الماركي
سفير خادم الحرمين الشريفين لدى مملكة البحرين

□ يمثل اليوم الوطني بالنسبة للمملكة العربية السعودية حكومة وشعباً وهي تحتفل بالذكرى الواحد والثمانين لتوحيدها عودة للتاريخ وتحديداً العام 1351 هـ الموافق 1932م حيث استطاع مؤسس المملكة المغفور له بأذن الله الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود توحيدها بعد جهاد استمر لمدة 32 عاماً منذ 1329هـ الموافق 1900م من أجل لم صفوف أبناء المملكة تحت راية التوحيد في وحدة سياسية واجتماعية وتنظيمية بعد أن كانوا لفترة طويلة كيانات وقبائل متفرقة ومتناحرة فتأسست دولة عربية فتية تزهو بتطبيق شرع الله وتصدح بتعاليم الإسلام السمحة وقيمه الإنسانية حريصة على التضامن العربي والإسلامي والسلم الدولي وفق رؤيه سياسية واعية للمغفور له الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن (رحمه الله) الذي استطاع أن يجعل من المملكة العربية السعودية دولة لها ثقلها العربي والإسلامي والدولي فكانت المملكة من الدول المؤسسة لمجلس التعاون لدول الخليج العربي وجامعة الدول العربية ومنظمة التعاون الإسلامي ومنظمة الأمم المتحدة، واستمد (رحمه الله) من الشريعة الإسلامية منهاجاً ونبراساً له فحقق له الله ما يصبو إليه وتكاتف الناس حوله وجعل للوطن شعاراً يعتز فيه كل مسلم وهو راية التوحيد وتحقق لهذه الأرض أمنها واستقرارها وازدهرت الحياة وسن الأنظمة والقواعد وفق دستور شرعي يعطي كل ذي حق حقه، ولقد استطاع بحنكته أن يعطي للحكم في هذه البلاد مفهوماً جديداً للإصلاح حيث بين للناس أنه منهم ومعهم وأنه يشاركهم همومهم وسعى لدحر الظلم ونشر العدل ووحد هذه البلاد على عقيدة صحيحة وعلى قلب واحد وشعب واحد، وترجم تلك المعاني في حياته وأخذ يبني البلاد ويجمع شمل الأمة ويوحد رأيها وكلمتها، وبعد اكتمال مقومات الوحدة وإعلان قيام المملكة العربية السعودية، وضع أسس وقواعد الدولة، كان لبعد نظره وذكائه الأثر الأكبر في الانتقال بالدولة التي كانت تعدّ الأفقر مقارنة بكبرها وتباعد إطرافها وقلة مقدراتها وضعف إمكانياتها وانعدام الهياكل البنيوية والإدارية والترابط بين أجزائها المترامية من حالة السكون والخمول إلى بناء الدولة وتعزيز ركائزها وبنائها داخلياً ثم مد علاقات حسن الجوار والصداقة إلى الدول المجاورة والصديقة ونعم شعب المملكة بعد هذه الملحمة القوية التي يسودها الحب والاحترام بالتنمية ورغد العيش وأصبح ذلك التناحر وعدم استتباب الأمن والتخلف والعصبية من الماضي بعد تأسيس كيان قوي فعال قائم على العدل والأمن واللذين يعتبران داعماً رئيسياً للاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي، استطاع أبناؤه الكرام من بعده أن يكملوا المسيرة ويجعلوا هذه الجزيرة واحات من البناء والازدهار المتواصل الذي نعيشه اليوم مستمدين من رؤية وحكمة والدهم الكثير الكثير، حيث تعاقب على الحكم من بعده الملوك سعود، وفيصل، وخالد وفهد - رحمهم الله - واليوم يحمل الراية خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز يعضده ولي العهد سمو الأمير سلطان بن عبدالعزيز، والنائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء سمو الأمير نايف بن عبدالعزيز ـ حفظهم الله ـ ولأن اليوم الوطني ذكرى غالية على قلوب الجميع يحتفي فيها بالعطاء والإنجاز وتمثل فرصة كبرى للتفكير في هذه المسيرة التي تحققت ويستلهم منها العبر والدروس لهذا القائد الفذ الذي استطاع بحنكته ونافذ بصيرته وإيمانه الراسخ بالله عز وجل، أن يبني هذه الدولة الشامخة ويشيد ثوابتها النيرة التي نشهد تطورها ونتطلع لغد أفضل في سعينا الدائم إلى كل ما من شأنه رفعة الوطن في جميع المجالات للّحاق بركب الدول المتقدمة، حيث قطعت المملكة ولله الحمد شوطاً كبيراً في سنوات قصيرة قياساً بعمر الأمم ما جعلها تحتل مركزاً مرموقاً على المستوى السياسي والاقتصادي والثقافي والإنساني والاجتماعي من خلال المحافظة على ثوابتها كدولة إسلامية لها أهميتها العظمى كمهبط للوحي وقبلة للمسلمين ودورها المهم في الدفاع عن القضايا العربية والإسلامية والدولية العادلة والحرص على تعزيز مبادئ السلم والعدل والأمن في العالم، وتسعى بكل إخلاص لحل مشكلات المنطقة والقضايا الدولية بما تملكه من دور سياسي كبير في العالم العربي والإسلامي والدولي، وبما تملكه من مصداقية سياسية، نظراً لتمتعها بدبلوماسيتها المتزنة نالت احتراماً دولياً لآرائها وبعد نظرها ومبادراتها الحكيمة ومواقفها الإنسانية النبيلة. ولا يفوتني بهذه المناسبة أن أشيد بالعلاقات الأخوية المتميزة التي تربط بين المملكة ومملكة البحرين الشقيقة القائمة على الود الخالص والمحبة الصادقة بين القيادتين والشعبين، وعلى ما تلقاه السفارة من رعاية وتقدير كريمين من جلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة ورئيس الوزراء سمو الأمير خليفة بن سلمان آل خليفة وولي العهد سمو الأمير سلمان بن حمد آل خليفة - حفظهم الله - ومن جميع المسئولين والجهات والمؤسسات الحكومية والخاصة في مملكة البحرين الشقيقة.

كما يشرفني أن أرفع باسمي ومنسوبي سفارة خادم الحرمين الشريفين في مملكة البحرين الشقيقة أسمى عبارات التهاني والتبريكات للقيادة الرشيدة والأسرة المالكة الكريمة ولوزير الخارجية سمو الأمير سعود الفيصل ونائبه سمو الأمير عبدالعزيز بن عبدالله آل سعود والشعب السعودي الوفي النبيل، سائلين المولى عز وجل أن يديم على بلادنا نعمة الأمن والاستقرار والعطاء والرخاء تحت قيادة خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي عهده الأمين وسمو النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء (حفظهم الله ورعاهم).